التعليق على صحيح البخاري

[الدرس الحادي عشر]

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح عبد الكريم

حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:-

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

نستكمل الحديث حول التعليق على صحيح الإمام البخاري – رحمه الله – ولا زال الحديث موصولاً مع كتاب الإيمان.

قال المصنف – رحمه الله –

"باب قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله، وأن المعرفة فعل القلب"

لقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا».

هذا الباب عقده المصنف – رحمه الله – للاستدلال على أن الإيمان قولٌ وعمل، للدلالة أن الإيمان لا يمكن أن يقتصر على القول، فهو مركبٌ من القول والعمل، والقصد من هذا التبويب هو الرد على الكرامية، الكرامية: إحدى الطوائف التي تتبع محمد بن كرام الذين يجعلون أن الإيمان قولاً فقط، مر معنا المرجئة الذين يجعلون الإيمان في القلب فقط،

ويخرجون العمل عن مسمى الإيمان، والكرامية يُقصرون الإيمان على القول فقط (يعني قول اللسان)، فأراد بهذه الترجمة الرد عليهم، وأن عمل القلب داخلٌ في الإيمان، وأيضاً فيه إشارةٌ إلى زيادة الإيمان ونقصانه في قوله "أنا أعلمكم"، والعلم بالله ﷻ هذا يزيد وينقص، الناس يتفاوتون في معرفتهم بالله ﷻ ، وعلمهم بالله، وخشيتهم لله تعالى.

وشيخ البخاري – رحمه الله – في هذا الحديث هو محمد بن سلام (بالتخفيف)، وذكره بعض الشراح بالتشديد، لكن الصحيح فيه التخفيف، والغالب في سلام التخفيف، كما ذكر ابن الصلاح في المقدمة، والقليل منهم بالتشديد، يعني سلام وسلَّام، فبعض الرواة بالتشديد، وبعضهم بالتخفيف، لكن الذي يغلب في الرواة هو التخفيف (سلام)، من غير تشديد.

محمد بن سلام يرويه عن **عَبْدَةُ** ، عَبْدَةُ هو ابن سلمان الكوفي، و عَبْدَةُ يرويه **عَنْ هِشَامٍ بن عروة بن الزبير**.

عَنْ أَبِيهِ يعني عروة بن الزبير.

وهذا الحديث فيه التخفيف على الناس وعدم المشقة، وفيه أن هذا الدين "دين يسر" كما تقول أم المؤمنين عائشة "كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون"، فهذا فيه تيسرٌ على الناس، وعدم تكليف الناس فوق طاقتهم من الأعمال، وهذا التقليل كما قال العلماء القصد منه المداومة، لأن الإنسان إن أكثر العمل انقطع، إذا أكثر وزاد على نفسه فإنه ينقطع، أما العمل اليسير فإن الإنسان يستطيعه ولا يجد فيه مشقة ويستمر عليه، وهذا يتضمن بمفهوم المخالفة الحذر من الغلو (الحذر من الغلو)، فالأمر بعدم تكليف النفس فوق طاقتها هذا تحذيرٌ من صور الغلو، والغلو هو مجاوزة الحد الذي يُنهى عنه الإنسان.

وهنا الصحابة بعض الصحابة قالوا للنبي ﷺ ": **إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**"

وهذا فيه كما قال العلماء: "جواز مدح الإنسان إذا أمن عليه عدم الغرور، متى يمدح الإنسان شخص؟ النبي ﷺ حذر من المدح "إياكم والمدح".

لكن استثنى العلماء المدح بشرطين:

الشرط الأول: الحاجة، الحاجة، إذا كانت هناك للمدح، كان يريد بهذا المدح التشجيع، كان النبي ﷺ يمدح بعض أصحابه تشجيعاً.

والشرط الثاني: أن يأمن المادح أن لا يغتر الممدوح، فيمدحه بما فيه ولا يكون ذلك سبباً في عُجب الممدوح، فهذا مدحٌ للنبي ﷺ أمامه.

قال: " فَيَغْضَبُ"

وهذا فيه الغضب عند مخالفة الشرع، مشروعية الغضب عند مخالفة الشرع، والغضب كما قال العلماء على قسمين:

- غضبٌ ممدوح.
- وغضبٌ مذموم.

فالغضب إذا انتهكت محارم الله ﷻ أو حصل تجاوز في حق الله ﷻ أو في حق الرسول ﷺ ، أو في حق الإسلام، هذا حقٌ مشروع، وأما الغضب لغير الحاجة، والغضب الذي يورث الوقوع في الطغيان والتجاوز والخطأ والتعدي فهذا مذموم، ولذلك قال النبي ﷺ للرجل الذي جاء يسأله "لا تغضب" فردد مراراً "لا تغضب" ، أي الغضب الذي يؤثر هو الغضب المذموم.

وهذا فيه أن الإنسان يقف عند ما حده الشارع، سواء من الرخص أو من العزيمة.

قال: " حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ"

وهنا فائدة مهمة، أغلب الأعمال القلبية لها أمارات خارجية (أغلب الأعمال القلبية لها أمارات خارجية)، يعني الأصل في الغضب عند العلماء في الشرع هو "ثوران أو غليان دم القلب"، يكون في القلب ولكن أثره في الإنسان ولكن يظهر في الإنسان في الجوارح، فهنا أثر الغضب ظهر في وجه النبي ﷺ ، وهكذا الحياء وغيره من العبادات القلبية يظهر أثرها على الإنسان.

قال: " ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»"

وهذا فيه أن الإنسان لو وصل في درجات الكمال فإن ذلك أدعى للمواظبة على العمل الصالح، بل هو علامة الشكر في العبادة، ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة للنبي ﷺ في قيامه وتكبده القيام حتى تفطرت قدماه فقال النبي ﷺ : "أفلا أكون عبداً شكوراً" فكلما بلغ الإنسان الرتب العليا يكون أكثر تعبداً لله ﷻ شكراً لله ﷻ .

وهنا قول النبي ﷺ : "أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ فيه » كما قال العلماء "الكمال العلمي والعملي (الكمال العلمي والعملي)، فالتقى من الكمال العملي، "وَأَعْلَمَكُمْ" من الكمال العلمي، وهي من الغايات المقصودة (من الغايات المقصودة)، وأفضل من تكلم على هذه المسألة ابن القيم في مدارس السالكين حول مسألة الترقي في الكمال العلمي والعملي، كيف يترقى الإنسان في هذين الجانبين من جوانب الإيمان، فجمع الحديث بين هذين الأمرين: الجانب العلمي والجانب العملي.

وهذه المعرفة بالله ﷻ "وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ" قال العلماء لها ثمرات كثيرة، فالمعرفة بالله ﷻ تورث الخوف من الله ﷻ ، ومعرفة الله ﷻ تورث محبة الله ﷻ ، كلما كان الإنسان أعرف بالله كان أخشى من الله، وكان أكثر محبةً لله ﷻ ، وأجل ما يورث الإنسان هذه المعرفة بالله ﷻ كما قال العلماء مطالعة أسماء الله وصفاته (مطالعة أسماء الله ﷻ وصفاته)،

فكلما طالع الإنسان أسماء الله ﷻ وصفاته، تعرف على الله ﷻ وعرف عبودية هذه الأسماء، وآثارها، كان ذلك أقوى في معرفة الله ﷻ وأدعى لخشية الله ﷻ .

وهذا فيه أن أعمال القلوب من الإيمان، يعني يُقال "إن أتقاكم" وأصل التقوى في القلب، التقوى ها هنا أشار النبي ﷺ إلى الصدر، فموضع التقوى هو القلب، فهذه إشارة إلى أن أعمال القلوب من الإيمان، وهذا تقرير ما ذكرناه أن فيه رد على الكرامية الذين يحصرون الإيمان في قول اللسان، وهذا الحديث نص على أن أعمال القلوب من الإيمان.

وأيضاً هذا القول من النبي ﷺ هو قوله " إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" سكوت النبي ﷺ قال العلماء فيه إقرار أن النبي ﷺ قد يقع منه الذنب (قد يقع منه الذنب) وهذا جاء يعني في القرآن، وجاء في السنة " ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ **[الفتح:٢]**وهنا "**إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ**" لكن الفرق بين وقوع النبي ﷺ ، طبعاً بدايةً الأنبياء كلهم معصومون من الكبائر، لا يقعون في الكبائر، ويقعون ويصدر منهم فقط الصغائر، ولا يقرون عليها، هذا الفرق بينهم وبين غيرهم، لا يقرون على هذه الصغائر، يعني يأتيهم الوحي ينبههم على مثل هذا الأمر، فسكوت النبي ﷺ عن قول الصحابة في هذا المقام هو تقريرٌ لهذا الأصل.

وأيضاً قول النبي ﷺ : " «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»"

فيه جواز قول أنا (فيه جواز قول أنا)، يعني لا يُكره أن يقول الإنسان "أنا "كما هو شائع عند العوام، يقول أعوذ بالله من كلمة أنا، لا ، وردت في السنة كلمة "أنا" كثيرة جداً عن النبي ﷺ ، فيجوز للإنسان أن يقول هذه الكلمة.

ثم قال المصنف بعد هذا الحديث

"بابٌ من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار من الإيمان"

قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ".

هذا التبويب لهذا الحديث وقد سبق هذا الحديث (ذكر هذا الحديث)، ولكن البخاري بوب لهذا الحديث عنواناً آخر، وهو جزء من هذا الحديث وهو أن يكره الإنسان أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار، وهذه طريقة البخاري في قضية التكرار، ولكن من الفوائد المهمة التي يجب أن يعرفها طالب العلم أن البخاري – رحمه الله – لا يكرر الحديث بنفس السند والمتن إلا نادراً (إلا نادراً)، ولذلك لا يجد الإنسان هذه المكررات (يعني السند والمتن بنفس الصورة إلا في عشرين موضع من الصحيح كله فقط)، وأما الباقي يغاير البخاري إما في ألفاظ المتن (يكون المتن فيه ألفاظ مختلفة مثل هذا الحديث اختلاف في ألفاظ المتن عن الحديث الذي سبق أن ذكرناه) وأيضاً يكون فيه اختلاف في رجال السند (يكون فيه اختلاف في رجال السند)، فالبخاري يكرر لكن تكراره مع مغايرةٍ في السند أو مغايرةٍ في المتن، أما أن يكرر الحديث على نفس النسق متناً وسنداً فهذا نادرٌ عند الإمام البخاري، ولذلك هذه الحديث من الأحاديث المكررة وهو أول حديث يتكرر؛ لأنه سبق أن ذكر هذا الحديث لكن هنا غاير في السند، وغاير في ألفاظ الحديث.

وشيخه في هذا الحديث هو سليمان بن حرب (سليمان بن حرب) من المحدثين الحفظة صاحب ضبط صدر، ولذلك تقرؤون في سيرته، في ترجمته ما رؤي في يده كتاب، يعني ما يمسك بيده كتاب (كله محفوظ في الذاكرة صاحب حفظ)، وهذا يأتي في تراجم العلماء.

وأما شعبة فقد ذكرناه، كذلك قتادة، وأنس.

من لطائف هذا السند أن السند كله بصري، رجال السند كلهم من البصرة، سليمان بن حرب وشعبة وقتادة وأنس، وأيضاً هذا الإسناد يعتبر من الأسانيد العالية (من الأسانيد العالية) وهي من رباعيات البخاري (من رباعيات البخاري) يعني بين البخاري وبين النبي ﷺ أربعة أشخاص، وهذه هي الأسانيد العالية.

أعلى ما عند البخاري الثلاثيات ثم يليها الرباعيات، وكلا النوعين ألف العلماء فيها كتب (هناك كتب بعنوان ثلاثيات البخاري) ، وهناك كتب بعنوان رباعيات البخاري، وهناك معروف عند أهل الحديث أنهم كانوا يتنافسون في الأسانيد العالية في الظفر بالأسانيد العالية.

وأما ما يتعلق بالمتن فقد مضى التعليق عليه فيما سبق من الأبواب بما فيه من الفوائد التي ذكرناها.

ويعني في السابق في الأبواب السابقة في "باب حلاوة الإيمان" أشرنا إلى أهم الفوائد في هذا الحديث.

ثم قال المصنف – رحمه الله –

"باب تفاضل أهل الإيمانِ في الأعمال".

قال البخاري – رحمه الله – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى المَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ – شَكَّ مَالِكٌ – فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: الحَيَاةِ، وَقَالَ: خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ.

هذه الترجمة عقدها المصنف لبيان أن الإيمان يزيد وينقص (أن الإيمان يزيد وينقص)، وهذا صريح، قال باب تفاضل أهل الإيمانِ في الأعمال، أهل الإيمان على تفاضل، الناس على درجات، كما قال الحافظ الحكمي: "والناس فيه على تفاضلٍ هل أنت كالأملاك أو كالرسلِ" الناس تتفاوت في درجات الإيمان.

والدلالة من الحديث قوله " أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ" فوصف الإيمان بالشيء الصغير بحبة الخردل، هذا دليل أن هناك ما هو أكثر وأعظم، وهذه عند العلماء تسمى دلالة التلازم العقلي (دلالة التلازم العقلي)؛ لأن كل ما يوصف بالقلة يوصف بماذا؟ بالكثرة، وكل ما يوصف بالنقص يوصف في المقابل بالزيادة، فهذه دلالة التلازم العقلي التي تدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

وأيضاً في هذا الحديث قصد المصنف الرد على المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب (يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب)، إذا كان الإنسان مؤمن إيماناً قلبياً فلا تضره الذنوب، فهذا الحديث صريح أن صاحب المعصية دخل النار، وعُذِب حتى احترق حتى صار فحماً، ضره أم لم يضره؟ الضرر واضح ففيه ردٌ صريح على المرجئة.

وكذلك عقد المصنف هذه الترجمة للرد على الخوارج، فإن الخوارج يقولون أن مرتكبي الكبيرة مخلدٌ في النار، أن مرتكبي الكبيرة مخلدٌ في النار، وهذا الحديث واضحٌ بين أن مرتكب الكبيرة عُذِب على قدر ذنوبه ثم أُخرج من النار (ثم أُخرج من النار)، ففيه ردٌ على الخوارج الذين يقولون "أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار".

وشيخ البخاري في هذا الحديث هو إسماعيل بن أويس وهو ابن أخت الإمام مالك، ولذلك هنا في هذا الحديث يروي عن خاله، وهو مكثر الرواية عن خاله، وهذا فيه من اللطائف (لطائف السند) رواية الراوي عن خاله، وهذا يأتي لطائف كثيرة، رواية الراوي عن أبيه، رواية الراوي عن خالته، عن خاله، عن عمه، عن عمته، فهنا الراوي يروي عن خاله.

وهذا السند مسلسلٌ بالمدنيين، الإسناد كله من أهل المدينة، بداية من إسماعيل إلى الصحابي أبي سعيد الخدري.

والبخاري – رحمه الله – أشار بعد ذكر الحديث إلى المتابعات،

قال: "ووهيبٌ حدثنا عمرو"

لماذا ذكر هذا؟ لأن في الإسناد في الحديث مالك يروي عن عمرو بالعنعنة، قال حدثنا في إسناد البخاري الأصلي،.

" حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرٍو" هذه عنعنة، وأورد البخاري رواية أخرى متابعة فيها التحديث قال "حدثنا عمرو" فالبخاري يريد أن يشير إلى أن هذا الحديث لديه من طريقين: طريق فيه التصريح بالتحديث "حدثنا" وهو أعلى، وطريق فيه استخدام العنعنة وهي كلمة "عن".

طبعاً في علم الحديث هناك الألفاظ الصريحة (حدثنا، أخبرنا، سمعت)

وهناك الألفاظ المحتملة (عن وأن وقال) هذه ألفاظ محتملة، والألفاظ الصريحة دائماً هي أقوى.

ثم ذكر بعض الألفاظ التي جاءت:

قال: "حدثنا عمرو الحياةِ" أي على الجزم وليس على الشك، لأن الرواية التي عندنا على الشك، قال: " فِي نَهَرِ الحَيَا" أو الحياة . شك الراوي، فهنا راوية عمرو " الحياة" بالجزم، ليس فيها شك أنها الحيا أو الحياة، وأيضاً إضافة " خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ".

هذا الحديث فيه من الفوائد إثبات كلام الله ﷻ ؛ لأنه قال: " ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى" ففيه إثبات الكلام لله ﷻ ، على ما يليق بجلال الله ﷻ، وقوله: " أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ" هذا بعد التوحيد (هذا بعد التوحيد).

وقوله: " مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ"

قال العلماء: "هذه إشارة إلى التقليل، ليس المقصود حبة الخردل بذاتها الصغيرة، لا، المراد به التقليل وهذا كثير في السنة، قال النبي ﷺ للرجل: "التمس ولو خاتماً من حديد" (للمهر)، فهذا فيه إشارة إلى التقليل "ولو شيء يسير"، وأيضاً هنا ذكر حبة الخردل للتقليل.

وأيضاً هذا فيه ربط المعقولات بالمحسوسات حتى تُدرك، يعني التمثيل بالإيمان بالأشياء المعقولة بحب الخردل وغيره هذا أقرب للذهن، وفيه أن النبي ﷺ كان يستخدم الأمثلة التي عُرفت في بيئتهم، النبي ﷺ كان يضرب المثال بالنخل وبالإبل وحمر النعم والخردل وغيرها. لماذا؟ لأنها كانت موجودة في بيئتهم، وأقرب إلى الأذهان.

قال: " أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ".

قال: " فَيُخْرَجُونَ"

وهذا فيه كما أسلفنا أن أصحاب المعاصي يُعذبون بقدر ذنوبهم ثم يُخرجون، يُعذبون بقدر ذنوبهم ثم يُخرجون من النار وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

قوله: " قَدِ اسْوَدُّوا"

هذا فيه شدة العذاب (شدة العذاب) أنهم يخرجون كالفحم، اسودوا من الحرق الذي يجدونه في النار.

قال: " فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ"

إما بالقصر، أو بالحياة بالتاء (شك مالك) والرواية التي أوردها في المتابعات "الحياة"، نهر يسمى نهر الحياة، وسمي نهر الحياة لأن هذا الشخص تعود إليه الحياة مرة أخرى بعد هذا الاحتراق، وبعد هذا السواد، والعذاب في النار، بعد أن يُلقى في هذه النهر ترجع إليه الحياة مرة أخرى، فينبت فإنه يعود كما كان.

قال: " فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ"

هذا فيه إشارة إلى رجوع أجسادهم من جديد إلى الحياة، وهنا

قال: " فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ".

الحِبَّةُ طبعاً الفرق بين الحَبَة و الحِبَّةُ، فهذه كلها متغايرة، الحَبَة بالفتح: هو بذور ما يؤكل (بذور ما يؤكل، أنواع البذور التي تؤكل)، وأما الحِبَّةُ بالكسر: فهي بذور ما لا يؤكل وهي الحشائش وغيرها وتسمى عند العرب الحبة الحمقاء لأنه تخرج في أي مكان وهذا هو المقصود؛ لأنها تخرج في أطراف النهر، في نوع من أنواع الحب لو تلقيه في أي مكان يخرج، وفي أنواع من الحب لا، يحتاج إلى بيئة خاصة.

وأما الحُبَّ بالضم فهو اصطلاحٌ خاص يُراد به البذور والحبوب الموجودة داخل العنب (داخل العنب)، فإذا فتحنا أو كسرنا أو ضممنا يختلف المعنى، **فهنا يقول: "" فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ"** أي البذور التي لا تؤكل، وهي التي تنمو في كل مكان.

ولماذا ذكر هذا؟

قال فيه جانب السيل لأن الشيء الذي يكون في جانب السيل ينمو بسرعة (ينمو بسرعة) لأن الماء متوافر فيكون سريع النمو.

قال: "أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً".

وصف هذه الحبوب التي تنمو في أطراف الأنهار، طبعاً بأنواع الزهور التي تخرج في مثل هذه الأماكن، فاختار النبي ﷺ أوصاف جميلة.

قال: " صَفْرَاءَ"

لماذا قال صفراء؟ قال شراح الحديث لأن الأصفر في جنس الرياحين أو أفضل الأنواع (أفضل الأنواع) ولذلك ذكر اللون الأصفر.

ثم قال: " مُلْتَوِيَةً".

قالوا الريحان إذا كان ملتوياً هو أجمل من الريحان الذي يخرج عمودياً، فاجتمع فيه صفتين من صفات الجمال: الاصفرار الذي هو أفضل جنس الرياحين باعتبار اللون

والطريقة وهي الالتواء، يعني يخرج وهذا تشبيه يعني الإنسان بعد أن يُلقى العاصي المذنب، بعد أن يُلقى في هذا النهر يخرج بصورة جميلة، ويرجع إليه الجسد كما كان.

ثم قال البخاري – رحمه الله – في الحديث الذي يليه تحت هذه الترجمة.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».

وهذا فيه كما ذكرنا سابقاً أن الدين يُطلق على الإيمان (أن الدين يُطلق على الإيمان والدين يُطلق على الإسلام، وهذا الحديث متوافق مع الترجمة من جهة تأويل القميص والقُمُص، أن فُسِرَ القميص بالدين، وأن الناس متفاوتون في الدين، أي متفاوتون في الإيمان (متفاوتون في الإيمان وهذا متوافق مع الترجمة) أن الناس يتفاضلون في الإيمان، وليسوا على درجةٍ واحدة في الإيمان.

وشيخ البخاري في هذا الحديث:

قال: " مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ" بالتصغير بن محمد المدني، وشيخ شيخه إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، روى له الجماعة أي الستة.

"عَنْ صَالِحٍ"، صالح هو ابن كيسان المدني.

و" أَبِو أُمَامَةَ" اسمه أسعد، أسعد ابن سهل، واختلف العلماء هل هو صحابي أو لا، ذكرها الحافظ بن حجر في الإصابة أنه وقع خلاف هل هو من الصحابة أو لا.

يرويه عن " أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ" وهذا الإسناد كالإسناد الذي قبله مسلسلٌ بالمدنيين، رجال السند كلهم مدنيون، من المدينة، وفيه رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض على

التوالي، فصالحٌ من التابعين، ومحمد بن شهاب الزهري من التابعين، وأبو أمامة على الخلاف (أقل أحواله أنه من التابعين.

وفي الحديث " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ"، بينا أصلها بين وهي ظرفية.

قال: "رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ "

يُعْرَضُونَ أي يظهرون، ورؤى النبي ﷺ حق، الرؤى التي يراها النبي ﷺ.

قال: " يُعْرَضُونَ عَلَيَّ".

يعني الناس يظهرون عليَّ وعليهم قُمُصٌ، وقُمُص جمع قميص له ثلاثة صور من الجمع: قُمُصن وقمصان، وأقمصة، كلها ثابتة، نفس كلمة رغيف تُجمع على هذه الثلاث رُغَف وأرغفة ورغفان، كله جموعٌ صحيحة، فهنا قُمُص هو جمع لقميص.

قال: " مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ".

"و الثُّدِيَّ" للرجل والمرأة، خصه البعض بالمرأة، لكنه عام للرجل والمرأة على الصحيح.

قال: " وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ»

وهنا القميص في هذا الحديث المراد به اللباس المعنوي (اللباس المعنوي) وهناك تلازم بين الأمرين في تعبير هذه الرؤية، وأن الإيمان والإسلام والتقوى، يُطلق عليه اللباس (لباس التقوى) كما في الآية، وجاءت الآثار لباس الإيمان وأنه زينة وغير ذلك، فهنا إشارة إلى هذا الجانب المعنوي، وهو في مقام المدح.

قَالُوا: "فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ"

أَوَّلْتَ: هنا التأويل بمعنى التعبير (بمعنى التعبير)، التأويل يأتي بعدة معاني، ولكن هنا بمعنى التعبير.

وقَالَ: «الدِّينَ».

وهذا فيه فضيلة لعمر بن الخطاب (فيه فضيلة لعمر بن الخطاب)، ولا يعني اختصاص البعض بفضيلة الإطلاق، يعني هل يُقال أن عمر بن الخطاب لما رآه النبي ﷺ وعليه ثوب جره أنه أفضل الصحابة على الإطلاق؟ أم أبو بكر الصديق أفضل منه، لا شك بالإجماع أبو بكر الصديق أفضل منه، بدلالة النص، وبدلالة الإجماع.

فثبوت بعض الفضائل لا يعني الإطلاق، كما ثبت لعلي بن أبي طالب في الغزوة "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله، ويحبه الله، ويفتح الله على يديه" لا يعني هذا الفضل المطلق، إثبات الفضل المقيد لا يقتضي منه إثبات الفضل المطلق.

وفيه جواز تعبير الرؤية، وكان النبي ﷺ يُعبِّر ما يراه وما يراه الصحابة، وأيضاً فيه سؤال العالم، فالصحابة سألوا النبي ﷺ ، وفيه أيضاً ثناء العالم على بعض أصحابه، النبي ﷺ أثنى على عمر في هذا المقام وعبَّر الثوب والقميص بالدين.

ثم قال المصنف بعد ذلك

"بابٌ الحياء من الإيمان"

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».

هذه الترجمة، هذا العنوان أراد منه المصنف دخول الأعمال في مسمى الإيمان، أن الأعمال من الإيمان، والناس يتفاوتون في الحياء، هذا يدل على زيادة الإيمان ونقصانه، هل الحياء عند الناس في نفس الرتبة؟ الحياء يمنع من المعاصي، هل امتناع الناس عن المعاصي بنفس الدرجة أم يتفاوتون؟ يتفاوتون وهذا دليل على تفاوت الإيمان عند الناس، ورجال السند قد مروا علينا كلهم، وسالم في السند هو عبد الله بن عمر أحد الفقهاء السبعة، وهذا

الإسناد بهذه الطريقة الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر، يوصف بأنه من أصح الأسانيد، هذه أحد الأسانيد الذي يوصف بهذا الوصف أنه من أصح الأسانيد.

وذكرنا أن من منهج البخاري في الصحيح أنه يختار الأسانيد التي وصفت بأنه أصح الأسانيد، وهذا سوف يتكرر معنا في الأسانيد التي سوف تأتي، وهذا الإسناد كله مدنيٌ إلا الأول عبد الله بن يوسف ليس من المدينة.

قال: " مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ"

وهذا الرجل مبهم، وهذا الإبهام لا يضر؛ لأن الإبهام في الصحابة لا يضر، الصحابة كلهم عدولٌ ثقات.

قال: " وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ".

أَخَاهُ قال العلماء ربما أخوة حقيقية أخوة النسب أو الأخوة في الله.

وقوله: " فِي الحَيَاءِ".

أي في شأن الحياء، إما أنه يمنعه، يقول لا تستحي، أو إنه يعاتبه يقول إنك تستحي (يعني إنك تستحي كثيراً) فكان يعاتب في باب الحياء، فنهاه النبي ﷺ

قال: " «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».

وهذه إشارة إلى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فالحياء من الأعمال ودخل في مسمى الإيمان، والحياء من الإيمان لأنه يمنع الإنسان عن كل ذنب، وعن كل فعل قبيح، كما مضى معنا في فضل الحياء.

والحياء يكون محموداً إذا وافق الشرع (إذا وافق الشرع)، والحياء كما مضى معنا منه ما هو غريزي ومنه ما هو مكتسب.

والحياء يؤثر في الإنسان، قال أحد التابعين: "تركت الذنوب أربعين سنة حياءً من الله"، فالحياء يمنع الإنسان ويحفظه من الوقوع في الذنوب والمعاصي، وفيه أيضاً تصحيح النبي ﷺ

للرجل (كيف تكون النصيحة وأن تكون نصيحة سليمة؟ قال: "دعه" يعني لا تنهاه عن الحياء.

وأعظم ما يورث الإنسان الحياء كما قال العلماء "مشاهدة نعم الله ﷻ " والتأمل في نعم الله ﷻ ، كلما تأملت في نعم الله ﷻ تزداد حياءً من الله .لماذا؟ لأنك تقول كيف استعين بنعم الله على معصية الله!!!

فهذا يورثك الامتناع عن المعاصي، والبعد عن الذنوب، ولعلنا نقف عند هذا الحد من التعليق، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وجزاكم الله خيراً.